هرمس في كتاباتنا المعاصرة

في كتاب «تاريخ سورية» للمطران يوسف الدبس[1].

وأخنوخ هو الذي يسميه المؤرخون العرب إدريس، وقد جاء في التوراة أن أخنوخ ولد متوشالح لسنة 65 من عمره، وأنه سلك مع الله بعد ماولده ثلاث مئة سنة وولد فيها بنين وأن كل أيامه كانت 365 سنة، ولم يوجد بعد لأن الله أخذه (تك ف 5 عد 24) وفهم بعض المفسرين الآية الأخيرة بمعنى أن أخنوخ مات موتاً طبيعياً لم يدرك سني سائر الآباء الأولين، إذ عاش أقل من جميعهم 365 سنة، فكان الله أراد أن يقيه الفساد فأماته قبل الوقت المعتاد في تلك الأيام. إلا أن أكثر الآباء والمفسرين على أنه لم يمت بل حجبه الله عن مرأى الناس كما فعل بإيليا، ويؤيده هذا قول بولس الرسول، «وبالإيمان نقل أخنوخ لكي لايرى الموت ولم يوجد بعد، لأن الله نقله، إذ قبل نقله شهد له بأنه أرضى الله» (عبرانية ف 11 عد 5) وقال فيه ابن سيراخ (ف 44 عد 16) «أخنوخ أرضى الرب»، وزادت النسخة اللاتينية العامية «إلى الفردوس» أي الأرض، ولاوجود لكلمة الفردوس في اليونانية، وفهم القديس إيرونيموس بذلك أنه نقل إلى السماء، وكذا يعتقد المؤرخون المسلمون العرب، فقد جاء في تاريخ أبي الفداء «وأما حنوخ وهو إدريس فإنه رفع لما صار له من العمر ثلاث مئة وخمس وستون سنة رفعه الله إلى السماء».

ويعزى إلى أخنوخ سفر لم تثبته الكنيسة الكاثوليكية بين الأسفار المقدسة، على أن القديس يهوذا الرسول قال في رسالته (عد 14) وقد تنبأ على هؤلاء (الأمة) أيضاً أخنوخ سابع آدم (أي السابع بعده) حيث قال يهوذا يأتي الرب في ربوات قديسية ليجري القضاء على جميعهم ويحج جميع المنافقين منهم على كل أعمال نفاقهم التي نافقوا بها» فكان هذا للمفسرين معضلة يعسر الاهتداء لوجهها، آأخذ الرسول هذه الآية عن كتاب لأخنوخ كان في صدر النصرانية أم علم بتقليد أو وحي خاص؟ والأظهر أن الرسول قرأ هذه الفقرة في سفر أخنوخ أو في كتاب اشتمل عليها، وهو لاستنارته بالإلهام الإلهي استشهد بها بما أنها حقيقة وإن لم يكن السفر برمته قانونياً، على أن مشاهير الآباء لم يعتبروا من هذا السفر مُنزلاً إلا هذه الفقرة لإثبات يهوذا الرسول لها في رسالته المعدودة من الأسفار الموحاة. وفسر لانرمان (في المحل المذكور) كلمة أخنوخ بمعنى المبتدي.

---

(1) طبعة بيروت المصورة عن طبعة بيروت 1893 ص60 ـ 61.

في كتاب «تاريخ الطب» للدكتور شوكت الشطي يقول[1]:

الطب عند المصريين

يناسب زمنه مابين السنة 4000 والسنة 715 قبل الميلاد، وقد استدل على ذلك من مجموعة الوصفات الطبية التي عثر عليها في الأقصر سنة 1873م، تلك الوصفات التي عدت أقدم وثيقة طبية أمكن الحصول عليها. لقد ازدهرت مدينة راقية في الألف الرابع قبل المسيح في مصر جعلت المصريين على جانب عظيم من الرقي، ويعزى إيجاد صنعة الشفاء إلى الملكة إيزيس التي ادعت الألوهية بعد حين وزعمت بأنها إلهة. كما يروى أن هرمس جمع قواعد الطب فأودعها في ستة كتب من كتبه الاثنين والأربعين المقدسة. وكانت حراسة هذه الكتب موكولة إلى الكهنة، وقد تضمن أحد هذه الكتب الستة البحث عن بناء الجسم وعمل أجهزته وأثر الكبد في هضم الغذاء وعمل الصفراء. واشتمل الثاني على الأمراض، وحوى الثالث الآلات المستعملة في الطب، وذكر الرابع أمراض العين، ووصف الخامس أمراض النساء، ونعت السادس بكتاب العنبر المقدس، وعد الكتاب الأساسي في دراسة الطب.

في كتاب «الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير» للدكتور رمزي نعناعه[2].

هـ ـ وعند قوله تعالى في الآية (57) من سورة مريم: ﴿ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾. روي عن وهب بن منبه أنه قال: (كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل مايرفع لأهل الأرض في زمانه، فعجب منه الملائكة، واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته، فأذن له، فأتاه في صورة آدمي. وكان إدريس يصوم النهار، فلما كان وقت إفطاره دعاء إلى طعامه فأبى أن يأكل، ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس. وقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. استأذنت ربي أن أصحبك فأذن لي، فقال: لي إليك حاجة، قال: وماهي؟ قال: أن تقبض روحي، فأوحى الله تعالى إليه: أن اقبض روحه، فقبضه ورده الله إليه بعد ساعة، وقال له ملك الموت: ماالفائدة من قبض روحك؟ قال لأذوق كرب الموت فأكون له أشد استعداداً، ثم قال إدريس بعد ساعة: إن لي إليك حاجة أخرى، قال: وماهي؟ قال: أن ترفعني إلى

---

(1) السفر الأول من تاريخ الطب طبعة دمشق 1956.

(2) الطبعة الأولى دمشق 1970 ص39.

السماء فأنظر إلى الجنة والنار، فأذن الله تعالى له في رفعه إلى السموات، فرأى النار فصعق، فلما أفاق قال أرني الجنة فأدخله الله الجنة، ثم قال له ملك الموت: اخرج لتعود إلى مقرك، فتعلق بشجرة، وقال: لاأخرج منها، فبعث الله تعالى ملكاً حكماً، فقال: مالك لاتخرج؟ قال: لأن الله تعالى قال ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾، وأنا ذقته. وقال ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ وقد وردتها. وقال ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾، فكيف أخرج؟ قال: الله سبحانه وتعالى لملك الموت: بإذني دخل الجنة، وبأمري يخرج، فهو يرتفع إلى الجنة، وتارة يعبد الله تعالى مع الملائكة في السماء. وقد روى ابن كثير خبراً قريباً من هذا عن كعب الأخبار، وعلق عليه بقوله: (وهذا من الإسرائيليات وفي بعضه نكارة).

في كتاب «مع الأنبياء في القرآن» عفيف عبد الفتاح طبارة[1].

نبوة إدريس

إدريس من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في القرآن، قال تعالى:

﴿ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [الأنبياء: 85].

﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴾ [مريم: 56-57].

فالقرآن وصفه بصفات هي: الصبر، والصدق، ورفعة المنزلة.

وخلاصة أقوال العلماء فيه أنه أول من نزل عليه الملك جبريل بالوحي لهداية نسل (قابيل) ليرجعوا عن غيهم وكفرهم، ويتوبوا إلى الله، ويسيروا حسب شريعته.

والقرآن لم يذكر شيئاً مفصلاً عن حياته وتعاليمه، كما أنه ليس هناك سند تاريخي ثابت عن حياته، وأبرز من تعرض للكلام عنه كتاب (تاريخ الحكماء) الذي سننقل عنه بعض الشذرات مما جاء فيه، ننقلها لاعلى أنها حقائق ثابتة بل من باب الاطلاع.

اختلف الحكماء في مولده ومنشئه فقالت، فرقة ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة

(1) الطبعة السابعة 1979 ـ دار العلم بيروت ص 56 ـ 57.

ومولده بمنف، وقالوا هو باليونانية أرميس وعرب بهرمس. . . وهو عند العبرانيين خنوخ، وعرب أخنوخ وسماه الله عز وجل في كتابه العربي المبين: إدريس. . . وخرج هرمس (أي إدريس) من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد إليها ورفعه الله إليه، وذلك بعد اثنتين وثمانين سنة من عمره.

وقالت فرقة أخرى: إن إدريس ولد ببابل وبها نشأ، وإنه أخذ في أول عمره بعلم شيث بن آدم وهو جد أبيه. . . ولما كبر إدريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفاتهم شريعة آدم وشيث، فأطاعه أقلهم وخالفه جلهم، فخرج وأتباعه حتى وافوا مصر.

وأقام إدريس ومن معه بمصر يدعو الخلائق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل، كما قد قيل: إنه دعا إلى دين لله والقول بالتوحيد وعبادة الخالق وتخليص النفوس من العذاب في الآخرة بالعمل الصالح في الدنيا، وحض على الزهد في الدنيا والعمل بالعدل، وأمرهم بصلوات ذكرها لهم على صفات بينها، وأمرهم بصيام أيام معروفة من كل شهر، وحثهم على الجهاد لأعداء دينهم، وأمرهم بزكاة أموالهم معونة للضعفاء.

وكان على فص خاتمة: الإيمان بالله يورث الظفر.

وكان على المنطقة التي يلبسها وقت الصلاة على الميت: السعيد من نظر لنفسه، وشفاعته عند ربه أعماله الصالحة.

ومن أقواله: ـ لن يستطيع أحد أن يشكر الله على نعمه بمثل الإنعام على خلقه.

ـ إذا دعوتم الله سبحانه فأخلصوا النية وكذا الصيام والصلوات فافعلوا.

ـ لاتحسدوا الناس على مؤاتاة الحظ فإن استمتاعهم به قليل.

ـ من تجاوز الكفاف لم يغنه شيء.

ـ حياة النفس في الحكمة.

في كتاب «أضواء على مسلك التوحيد الدرزية» للدكتور نسيب مكارم في إطار عرضه لمصادر التقية في معتقد التوحيد ورداً على الأستاذ النجار يقول:

مصادر التقية في معتقد التوحيد

ويتطرق كتاب «مذهب الدروز والتوحيد» إلى مصادر التقية في هذا المسلك التوحيدي فيقول: «من هذه المصادر الثلاثة» - أي أرسطو وأفلاطون وأتباع فيثاغورس - «انحدر المذهب إلى الدروز الذين يعتبرون هؤلاء الفلاسفة أسيادهم الروحيين».

لقد أصاب الأستاذ النجار باعتبار أفلاطون وأتباع فيثاغورس من مصادر السرية في مسلك التوحيد. ولكنه لم يصب في تجاهله مصادر أخرى لهذه السرية كان لها من الأهمية ما لأفلاطون وفيثاغورس وأتباعه. فهناك هرمس، وهو معروف بصيانته الشديدة للأسرار، وهو مكرم عند الدورز، ينظرون إليه بعين التقديس ويجعلونه في مصاف الأنبياء كما يفعل الصابئة، أو كما يعده المانويون. وهؤلاء يعتبرونه واحداً من الأنبياء الخمسة الذين سبقوا «ماني».

يقول الدكتور على سامي النشار في كتابه «ديموقريطس» فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة[1].

«ولكن وجدت الفيثاغورثية الحديثة أكبر تلامذة لها لدى الكثير من غلاة الشيعة والغنوصيين كما قلت. فكان لفكرة الأعداد مكان كبير لدى طوائفهم المختلفة. ثم أثرت الفيثاغورثية الحديثة في الإسماعيلية. . وسيطرت على كتابات إخوان الصفا. وإخوان الصفا إسماعيلية قطعا، وقد آمن إخوان الصفا بأن لحركات أشخاص الأفلاك أصواتاً ونغمات، وأن أشخاص هؤلاء هم ملائكة الله، وخُلَّص عباده، يسمعون ويبصرون ويعقلون، ويسبحون الليل والنهار لايفترون، وتسبيحهم ألحان أطيب من قراءة داوود للزبور في المحراب، ونغمات ألذ من نغمات أوتار العيدان الفصيحة في الإيوان العالي، وهذه التسبيحات والقراءات والتبتلات هي نغمات وألحان حركات الأفلاك. وإن تلك النغمات والألحان تذكر النفوس البسيطة التي هناك (أي الملائكة) بسرور عالم الأرواح التي فوق الفلك، والتي جوهرها أشرف من جواهر عالم الأفلاك، وهو عالم النفوس ودار الحياة التي نعميها كله

(1) طبعة الهيئة المصرية العامة للكتب بالإسكندريّة.

روح وريحان في درجات الجنان ـ كما ذكر في القرآن، وكما وجد في عالم الكون حركات منتظمة لها نغمات متناسبة لنفوسها ومشوقة لها إلى مافوقها.

وأخيراً يقول إخوان الصفا: «إن حركات تلك الأشخاص ونغمات الحركات لذة وسرور لأهلها، مثل مافي نغمات أوتار العيدان لذة وسرور لأهلها في هذا العالم. فعند ذلك تشوقت نفسه إلى الصعود إلى هناك والاستماع لها والنظر إليها. كما صعدت نفس هرمس الثالث بالحكمة لما صفت ورأت ذلك، وهو إدريس النبي عليه السلام، وإليه أشار بقوله ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ وهكذا نرى مزيجاً من الفيثاغورية الحديثة والأفلاطونية الحديثة ممتزجة بتفسير قرآني، واصفة هرمس الثالث أو المثلث الحكمة ـ وهو في نظرهم إدريس، وهو في الحقيقة أمونيوس ساكاس ـ فيثاغوريا محدثا».

وعن تأثير هرمس في الإشرافية الإسلامية يقول:

«وقد كان لأنبا دوقليس ذكر ومقام لدى الإشراقيين. بحيث يعتبر واحداً من كبار الأنبياء والأصفياء والأولياء، ونرى شيخ المذهب الإشراقي ـ السهروردي المقتول ـ يقرر أن الحكمة الإشراقية هي التي قررها وأخبر عنها جملة من الحكماء الأولين، وهم في نظر السهروردي من جملة الأصفياء والأنبياء والأولياء، وأن هؤلاء الحكماء هم أغاثاذيمون وهرمس وأنبادوقليس وفيثاغورس وسقراط وأفلاطون وأمثالهم. وأنهم تشبهوا بالمبادئ وتخلقوا بأخلاق الله بتجردهم عن المادة تجرداً تاماً، وانتفشوا بالمعارف على ماهي علي هيئة الوجود فأنبا دوقليس إذن ـ عند الإشراقية الإسلامية ـ حكمته كشفية ذوقية، تظهر له الأنوار العقلية وتلمع وتفيض بإشراق على النفس عند تجردها، «وكذا قدماء اليونان خلا أرسطو وشيعته» ص 464 ـ 465.